

تفسير البغوي

6 - { سواء عليهم أستغفرت لهم } يا محمد { أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن شاء لا يهدي القوم الفاسقين } ذكر محمد بن إسحاق وغيره عن جماعة من أصحاب السير أن رسول الله ﷺ بلغه : أن بني المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحارث بن أبي ضرار أبو جويرة زوج النبي من المريسيع له يقال مياهم من ماء على لقيهم حتى إليهم خرج أ ﷺ رسول بهم سمع فلما أ ناحية قديد إلى الساحل فتزاحف الناس واقتتلوا فهزم أ ﷺ بني المصطلق وقتل من قتل منهم ونقل رسول أ ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفاءها عليهم فبينما الناس على ذلك الماء إذ وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار يقال له جهجاه بن سعيد الغفاري يقود له فرسه فازدحم جهجاه وسان بن وبرة الجهني حليف بني عوف بن الخزرج على ذلك الماء فاقتتلا فصرخ الجهني : يا معشر الأنصار ! وصرخ الغفاري : يا معشر المهاجرين ! وأعان جهجاه الغفاري رجل من المهاجرين يقال له جعال وكان فقيرا فغضب عبد الله بن أبي بن سلول وعنده رهن من قومه فيهم زيد بن أرقم غلام حديث السن فقال ابن أبي : أفعلوها ؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا وأ ﷺ ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل : سمن كلبك يأكلك أما وأ ﷺ لئن رجعنا إلى المدينة لنخرجن الأعز منها الأذل يعني بالأعز نفسه وبالأذل رسول أ ﷺ ثم أقبل على من حضره من قومه فقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما وأ ﷺ لو أمسكتهم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولتحولوا إلى غير بلادكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفقوا من حول محمد فقال زيد بن أرقم : أنت - وأ ﷺ - الذليل القليل المبعوض في قومك ومحمد أ في عز من الرحمن ومودة من المسلمين فقال عبد الله بن أبي : اسكت فإنما كنت ألعب قال : فمشى زيد بن أرقم إلى رسول الله ﷺ وذلك بعد فراغه من العدو فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب فقال : دعني أضرب عنقه يا رسول الله ﷺ قال : كيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ؟ ولكن أذن بالرحيل وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها فارتحل الناس .

وأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي فأتاه فقال : أنت صاحب هذا الكلام الذي بلغني ؟ فقال عبد الله : والذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئا من ذلك وإن زيدا لكاذب وكان عبد الله في قومه شريفا عظيما فقال من حضر من الأنصار من أصحابه يا رسول الله ﷺ عسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه ولم يحفظ ما قاله فعذره النبي أ وفشت الملامة في الأنصار لزيد وكذبوه وقال له عمه وكان زيد معه : ما أردت إلى أن كذبك رسول الله ﷺ والناس مقتوك وكان زيد يساير النبي أ فاستحيا بعد ذلك أن يدنو من النبي أ .

فلما استقل رسول الله ﷺ وسار لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ثم قال : يا رسول الله ﷺ لقد رحت في ساعة منكرا ما كنت تروح فيها . فقال له رسول الله ﷺ : أو ما بلغك ما قال صاحبكم عبد الله بن أبي ؟ قال : وما قال ؟ قال : زعم إن رجعا إلى المدينة أخرج الأعز منها الأذل فقال أسيد : فأنت والله يا رسول الله ﷺ تخرجه إن شئت هو والله الذليل وأنت العزيز ثم قال : يا رسول الله ﷺ ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وإن قومه ينظمون له الخرز ليتوجوه فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكا . وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي ما كان من أمر أبيه فأتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ﷺ إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي لما بلغك عنه فإن كنت فاعلا فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه فوالله لقد علمت الخرج ما كان بها رجل أبر بوالديه مني وإني أخشى أن تأمر به غير فيقتله فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله فأقتله مؤمنا بكافر فأدخل النار .

فقال رسول الله ﷺ : بل نرفق به ونحسن صحبتته ما بقي معنا . قالوا : وسار رسول الله ﷺ يومهم ذلك حتى أمسى وليلتهم حتى أصبح وصدر يومهم حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم يكن إلا أن وجدوا مس الأرض وقعوا نياما وإنما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبي . ثم راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز فوق النقيع يقال له نقعا فهاجت ريح شديدة / آذتهم وتخوفوها وضلت ناقة النبي ﷺ وذلك ليلا فقال رسول الله ﷺ : لا تخافوا وإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار توفي بالمدينة قيل : من هو ؟ قال : رفاعه بن زيد بن التابوت فقال رجل من المنافقين : كيف يزعم أنه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته ؟ ألا يخبره الذي يأتيه بالوحي ! فأتاه جبريل فأخبره بقول المنافق وبمكان الناقة وأخبر بذلك رسول الله ﷺ أصحابه وقال : ما أزعم أنني أعلم الغيب وما أعلمه ولكن الله أخبرني بقول المنافق وبمكان ناقتي هي في الشعب قد تعلق زمامها بشجرة فخرجوا يسعون قبل الشعب فإذا هي كما قال فجاءوا بها وآمن ذلك المنافق .

فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعه بن زيد بن التابوت قد مات ذلك اليوم وكان من عظماء اليهود وكهفا للمنافقين فلما وافى رسول الله ﷺ المدينة قال زيد بن أرقم : جلست في البيت لما بي من الهم والحياء فأنزل الله تعالى سورة المنافقين في تصديق زيد وتكذيب عبد الله فلما نزلت أخذ رسول الله ﷺ بأذن زيد وقال : يا زيد إن الله صدقك وأوفى بأذنتك . وكان عبد الله بن أبي بقرب المدينة فلما أراد أن يدخلها جاءه ابنه عبد الله بن عبد الله حتى أناخ على مجامع طرق المدينة فلما جاء عبد الله بن أبي قال : وراءك قال : مالك ويلك ؟ قال : لا والله لا تدخلها أبدا إلا بإذن رسول الله ﷺ ولتعلمن اليوم من الأعز من الأذل فشكا عبد الله

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع ابنه فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن خل عنه حتى يدخل فقال : أما إذا جاء أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنعم فدخل فلم يلبث إلا أياما قلائل حتى اشتكى ومات .

قالوا : فلما نزلت الآية وبان كذب عبد الله بن أبي قيل له : يا أبا حباب إنه قد نزل فيك آية شداد فاذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى رأسه ثم قال : أمرتموني أن أؤمن فأمنت وأمرتموني أن أعطي زكاة مالي فقد أعطيت فما بقي إلا أن أسجد لمحمد فأنزل الله تعالى : { وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم لووا رؤوسهم } الآية